ووجب أن يفضل بعضه بعضاً، وأن يبعد الشأو فى ذلك وتمتد الغاية ويعلو المرتقى، ويعز المطلب، حتى ينتهى الأمر إلى الإعجاز وإلى أن يخرج من طوق البشر، ولما لم تعرف هذه الطائفة هذه الدقائق وهذه الخواص واللطائف لم يتعرض لها ولم تطلبها . ثم عن لها بسوء الاتفاق رأى صار حجازاً بينها وبين العلم بها وسداً دون أن تصل إليها. وهو إن ساء اعتقادها فى الشعر الذى هو معدنها، وعليه المعول فيها، وفى علم الإعراب الى هو لها كالناسب الذى ينميها إلى أصولها، ويبين فاضلها من مفضولها، فجعل تتظهر الزهد فى كل واحد من النوعين، وتطرح كلا من الصنفين، وترى التشاغل عنهما، أولى من الاشتغال بهما، والإعراض عن تدبرهما، أصوب من الإقبال على تعلمهما.

أما الشعر فخيل إليها أنه ليس فيه كثير طائل أو أن ليس إلا ملحة أو فكاهة أو بكاء نزل أو وصف طلل، أو نعوت ناقة أو جمل، أو إسراف قول فى مدح أو هجاء وأنه ليس بشىء تمس الحاجة إليه فى صلاح دين أو دنيا.

وأما النحو فظننته ضرباً من التكلف، وباباً من التعسف، وشيئاً لا يستند إلى أصل ص ٦ ولا يعتمد فيه على عقل، وأن ما زاد فيه على معرفة الرفع والنصب وما يتصل بذلك مما تجده فى المبادىء فهو فضل لا يجدى نفعاً ولا تحصل منه على فائدة، وضربوا له المثل إلى أشباه لهذه الظنون وفى القبيلين وآراء لو علموا مغبتها وما تقود إليه لتعوذوا بالله فيها ولأنفوا لأنفسهم من الرضا بها، ذاك لأنهم بإيثارهم الجهل بذلك على العلم فى معنى الضادّ عن سبيل الله والمبتغى إطفاء نور الله تعالى. وذاك أنا إذا كنا نعلم أن الجهة التى منها قامت الحجة بالقرآن وظهرت وبانت وبهرت، هى أن كان على حد من الفصاحة تقصر عنه قوى البشر، دفعتها إلى غاية لا يطمح إليها بالفكر، وكان محالا أن يعرف كونه كذلك إلا من عرف الشعر الذى هو ديوان العرب، وعنوان الأدب والذى لا يشك أنه كان ميدان القوم إذا تجاروا فى الفصاحة والبيان، وتنازعوا فيهما قصب الرهان ثم بحث عن العلل التى بها كان التباين فى الفضل، وزاد بعض الشعر على بعض، كان الصاد عن ذلك صاداً عن أن تعرف حجة الله تعالى.

(الصاد عن النحو صاد عن سبيل الله . ص ٢١ :

وأما زهدهم فى النحو احتقارهم له وإصغارهم أمره وتهاونهم به فصنيعه فى ذلك أشنع من صنيعهم فى الذى تقدم وأشبه بأن يكون صداً عن كتاب